Available online:

<http://journal.imla.or.id/index.php/arabi>

Arabi : Journal of Arabic Studies, 2 (1), 2017, 113-126

DOI: <http://dx.doi.org/10.24865/ajas.v2i1.10>

قضية الاستعباد في شعر محمد الفيتوري

Zamri bin Arifin, Emad Hamza M Arrabea

Universiti Kebangsaan Malaysia, Malaysia

E-mail : abuzaim@ukm.edu.my

Abstract

The issue of slavery is one of the most important issues that have plagued mankind, both ancient and modern. The contemporary Arab poet Muhammad Miftah al-Fittouri was the first Arab poet to address this issue and to discuss the issues of African and Zenism in a qualitative and quantitative manner. Therefore, this study is aimed at presenting the efforts of the scholars of this issue in the poetry of this poet. The study revealed the intersections of the poetry with the components and manifestations of the issue of (slavery) and the different poetic stages, as demonstrated by the poet's poetic. The research concluded that the literary and monetary field lacked a systematic study of this issue, revealing its motives and artistic manifestations, and the various aspects of it emerge according to a modern scientific method.

Keywords: Africa, slavery, negro, vektorian, modern Sudanese poetry

Abstrak

Isu perbudakan adalah salah satu isu yang paling penting yang mewabah di kalangan umat manusia, baik di zaman dahulu maupun modern. Puisi Arab kontemporer yang ditulis oleh Mohamed al-Fittouri adalah puisi Arab pertama yang menyinggung masalah perbudakan dan membahas isu perbudakan bangsa Afrika dan Zenisme secara qualitative dan quantitative. Oleh karena itu, penelitian ini ditujukan untuk menyajikan usaha-usaha para ilmuwan yang ahli dalam bidang isu yang terkandung dalam puisi ini. Kajian ini menemukan adanya penggalan puisi yang mengandung isu perbudakan dan adanya perbedaan tahapan puisi seperti yang didemonstrasikan oleh penyair puisi. Penelitian ini menyimpulkan bahwa bidang sastra dan moneter kurang mengkaji isu ini secara sistemik, yang berkenaan dengan motif dan manifestasi artistic dan berbagai aspek penting sesuai dengan metode saintifik yang modern.

Kata Kunci: Afrika, perbudakan, negro, vektorian, puisi Sudan modern

عَرَفَ العالم تاريخاً طويلاً من الاستعباد أو الرّق الذي يرمي لامتهان كرامة الإنسان وسلب حريته، فكان سائداً في الحضارات القديمة التي قامت على أكتاف العبيد، وقد أشار القرآن الكريم إلى إحداها في سرده لقصة فرعون؛ عندما رد موسى U على امتنانه عليه بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ٢٢). كما عانت أفريقيا ويلات الاستعباد وتجارة الرقيق التي كانت تمارس ضد الأفارقة السود زمناً طويلاً. وقد جاء الإسلام معالجاً هذه المشكلة فضيق مصادرها ووسع مخرجها، وجاء بحلول عملية للقضاء على الرّق تماماً، كما قامت العديد من المنظمات العالمية والهيئات الحقوقية بتحريم الرّق والاستعباد بكافة أشكاله (المنصاوي، ٢٠١٥: ٢٣٠).

ورغم ذلك؛ نجد هذه القضية تتخذ أشكالاً عدّة، وصوراً جديدةً في العصر الحديث، (كالاستعمار) حيث يقترن اسم الاستعمار بالإنسان الأوروبي الذي استخدم سلاح العلم للسيطرة على الشعوب الأخرى وتسخير أبنائها لتأمين مصالحه واستثمار ثرواتها لرفاهيته... وقد أطلق الأوروبيون اسم المستعمرات على المناطق التي استولوا عليها في أفريقيا، بالقوة وبالوسائل الخسيسة، وسخروا أهلها في استثمار أراضيهم واستخراج ثرواتهم منها لينعموا بها من دونهم، أو (التمييز العنصري)؛ الذي يراد به: التمييز بين الأشخاص في الوطن الواحد، بسبب اختلاف ألوانهم، وقد نشأت هذه الظاهرة كمشكلة اجتماعية، بعد إعلان تحرير الزوج في الولايات المتحدة عام ١٨٦٥م، أو (الاسترقاق الجنسي) وهو إخضاع شخص لسلطة شخص آخر أو إجباره على تعاطي البغاء أو القيام بعملٍ مغلٍ بالأخلاق واستثماره، وكان يسمى إلى وقتٍ قريبٍ (الاتجار بالرقيق الأبيض)، (الترماني ١٩٧٩: ١٧٨-١٩٩)، إلى غير ذلك من صور الاستبداد والاضطهاد والاتجار بالبشر، حتى أصبحت مشكلةً عالميةً تشكو منها العديد من الشعوب. ويرى أبو المجد (تقديم الترماني ١٩٧٩) أن المجتمع الدولي، والسياسي قد ملأ علينا حياتنا بنصوصٍ ومواثيق تدافع عن الحرية والعدل وتنتهي عن الاستعباد والظلم، وتصوغ العديد من وسائل تصفية الرق بصورة كلها؛ لكن هذه التصفية لا تزال مطمئناً بعيد المنال؛ بل إن بعض مكتشفات العلم الحديث قد وضعت في يد الأقوياء من أسلحة الظلم والقهر والاستغلال ما خلق ألواناً من (القهر الجماعي) لم تكن معروفةً في أيام الرق الأولى.

وقد دأب المصلحون والدعاة منذ الأزل على التنديد بخطر هذه القضية، والتحذير من ويلاتها التي جرّت الكوارث على البشرية وأشعلت فتيل النزاعات الإقليمية حول العالم. وقد كان الأدب وما يزال؛ ساحةً رحبةً للدفاع القيمي، وميداناً واسعاً للدفاع عن القضايا العادلة؛ بما يملكه من صدق الرؤية وحرارة العاطفة وفاعلية الأداة. وقد عرض الشعراء العرب قديماً وحديثاً للعديد من قضايا الظلم والاستبداد؛ إلا أن قضية الاستبداد البشري والاستعباد) لم تنل من اهتمام شاعرٍ عربيٍّ معاصرٍ ما نالته من اهتمام الشاعر السوداني (محمد مفتاح الفيتوري) المولود في السودان عام ١٩٣٦م، والذي شجب هذه الظاهرة منذ وقتٍ مبكرٍ، وجعل من مكافحتها قضيةً لحياته. ويرى طاهر (١٩٩٩) أن الشاعر منذ ديوانه الأول (أغاني أفريقيا) ١٩٥٥م؛ قد أدان بشدة استعباد (الأبيض) لأخيه الإنسان (الأسود)؛ حيث إنّ الواقع أن إدانة الاستعباد في شتى صورته ونماذجه كانت وسوف تظل من أهم المبادئ التي كرس لها الفيتوري رسالته الشعرية، فلا تكاد

تخلو قصيدةً لديه من التصريح أو الإشارة أو التضمنين إلى بواعث الاستعباد البشري، ومظاهره، وسوءاته على مختلف المستويات: استعباد الفرد للمجتمع، واستعباد المجتمع للفرد، واستعباد المجتمع للمجتمع.

الشاعر محمد الفيتوري، ومفهومه للاستعباد

تعريفٌ بالشاعر

تبوأ الشاعر محمد الفيتوري مكانةً مرموقةً بين الشعراء العرب المعاصرين، وقد كان لقضية الاستعباد والاستبداد - وخاصةً في أفريقيا - النصيب الأكبر ضمن القضايا التي تناولها في دواوينه وأعماله الأدبية؛ وذلك بسبب تجربته الحياتية التي كان يعاني فيها من عقدة العنصرية والاغتراب؛ ويوضح العالم (١٩٦٧) خلفية الشاعر العرقية التي انحدر منها وساهمت في تكوين شخصيته؛ فهو زنجي الجد، مصري الأم، سوداني الأب، من أصول ليبية. كما يوضح موسى (١٩٨٥) الخلفية السياسية التي عاصرها الشاعر ولم يعرف فيها الهدوء والاستقرار؛ فالبئة التي عاش فيها كانت مليئةً بالأحداث السياسية والثورات، والسخط والسأم والشكوى والأنين في مختلف مجالات الحياة، وكانت على شيءٍ من الخطورة بحيث أدت بالبلاد إلى عهودٍ مظلمةٍ من عهود الاستعمار والتحكم برقاب العباد، والتضييق على الحريات، وذلك في بلدين اثنين هما مصر، والسودان. فقد ولد في السودان ونشأ في مصر حيث انتقل إليها صغيراً، وعانى ما عاناه ذاك البلدان. كما يرى العالم (١٩٦٧) أن بشرة الشاعر السوداء كان لها أثر في زيادة حساسيته، ورغم أنه قضا الجانب الأكبر من حياته في مدينة (الإسكندرية)؛ إلا أن بشرته السوداء كانت تقيم في داخله حاجزاً كثيفاً بينه وبين المدينة التي يحيا فيها، مما حرمه المشاركة والاندماج، وشحذ حساسيته، وأجج في باطنه مشاعر مريرة. وقد كانت هذه الحساسية وتلك المشاعر المتأججة؛ عاملاً محفزاً لعاطفة الشاعر وموهبته الأدبية التي أنتج بها مختلف دواوين هو مسرحياتها لشعرية التيتنضحب الثورة على الاستعباد والاستبداد في العالم منحوه، وتظل تلاحقه أينما حل ومهما كتب؛ بأزمته النفسية والثقافية الطاحنة.

والشاعر - قبل ذلك وبعده - شخصيةٌ أدبيةٌ لها مكانتها في مضمار التجديد الشعري؛ بحيث لا يصح أن يؤرَّخ للشعر العربي الحديث في نصف القرن المنصرم دون الوقوف أمام تجربته الشعرية الغنية. ويرى بدوي (١٩٨١) أنه إذا كان الفيتوري والشعراء السودانيون في الخمسينات؛ قد حركوا ركود القصيدة العربية وملأوها بالغضب والنار والتمرد مبتدئين ثورتهم من واقعهم الحزين، فإن هذه الموجات قد صبت في الغالب في نهرٍ كبيرٍ اسمه أفريقيا، فأصبحت عندهم رمزاً لتمزقهم وضياهم وغليانهم، وأصبحت عند الفيتوري معادلاً لمعاناته، وقناعاً يستطيع من ورائه أن يصرخ، وأن يثور، بل وأن يحقد ويتحدى.

الاستعباد عند الفيتوري

تميز هذا المصطلح عند الفيتوري بخصوصيةٍ فنيةٍ تشكلت من خلال الدلالات التالية:

دلالة الميز العنصري: حيث تُشكّل هذه الدلالة عند الشاعر؛ المنبع الأول لكل المآسي التي ألمّت بالإنسان الأسود متكئةً على قضية اختلاف اللون. ويوضح بوحالة (٢٠٠٤) أن جميع الولايات التي أملت بالزنوج من استرقاق، واستعمار،

وتقتيل، واضطهاد؛ تجد تبريرها في الحجة اللونية. فقد دأب البيض على تكريس قاعدةٍ لونيةٍ تفيد أن بياض الأوروبيين هو الأس الجوهرى لمغايرتهم الامتيازية، وأفضليتهم الإثنية والحضارية، فيما تمثل الألوان الأخرى، وفي مقدمتها اللون الأسود؛ علامةً على التدني العرقي والحضاري. وقد شجب شاعرنا هذه الحجة الواهية، وجعل من دحضها أحد أهم قضاياها.

دلالة الاسترقاق: وهي تعني من وجهة نظر الشاعر مأساة استعباد العالم الغربي للزنج في القارة الأفريقية على مر التاريخ بدءاً من القرن الخامس عشر، عن طريق القبض عليهم في موطنهم ثم ترحيلهم قسراً إلى العالم الجديد، وامتهان آدميتهم من خلال تجارة العبيد، واستغلالهم بعد ذلك في شتى صور الاستغلال. وقد عرض الشاعر في أشعاره ألواناً من مآسي الزنج خلال هذه التجارة الرهيبة، وأظهر وجهها اللاإنساني البغيض، ومدى الظلم الماحق الواقع على هؤلاء المستعبدين.

دلالة الاستعمار: حيث تمثل بعداً آخر من أبعاد مصطلح الاستعباد لدى الفيتوري، تلا مأساة استرقاق الزنج؛ وذلك حين تكالبت الدول الأوروبية على بسط نفوذها على الأمم والشعوب واستنزاف ثرواتها. يقول الزهيري (١٩٧٢) أعقب عهد الرق والنخاسة عهد تسابق أوروبا لاحتلال إفريقيا في القرن التاسع عشر وما تلاه من انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ لتوزيع القارة السوداء على الدول الاستعمارية. وكان الاستعمار لدى الفيتوري هو الوجه الأعمى للاستعباد والذي عمم الظلم وبسط سطوته على شعوب الأرض بقانون القوة والظلم الذي لم تسلم أفريقيا ولا الدول العربية من بطشه، فكان الفيتوري أحد أهم الأصوات المدافعة عن حق تلك الشعوب في الحرية والكرامة.

الدراسات حول الشاعر محمد الفيتوري وشعره

تنوعت الأوعية البحثية التي تناولت الشاعر محمد مفتاح الفيتوري، بين رسائل علمية منشورة وغير منشورة، وكتب نقدية، ودراسات أدبية، وسير عن حياته؛ ذاتية وغيرية، ومقالات علمية، ومقابلات صحفية، إلى غير ذلك. كما تنوعت -تبعاً لذلك- أساليبها في تناول؛ فدرس بعضها حياة الشاعر، ودرس الآخر شعره؛ متناولاً قضاياها تارةً ومكوناته الفنية تارةً أخرى. واتخذته بعض الدراسات أنموذجاً لبعض الظواهر السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية في العصر الحديث، كما سلكته دراسات أخرى ضمن شعراء جمعتهم محاور تلك الدراسات. كما اختلفت كذلك من ناحية شمولها لإنتاج الشاعر، إلى غير ذلك. وقد امتد زمن تلك الدراسات منذ عام ١٩٦٤، بعد صدور ديوان الشاعر الأول (أغاني أفريقيا)، وحتى وقتنا الحاضر. وفيما يلي؛ أعرض الدراسات السابقة عن الفيتوري بحسب بعدها أو قربها من قضية البحث، ومدى تناولها المنهجي الدقيق لأبعاد هذه القضية ودلالاتها في شعر الفيتوري؛ بدءاً بالأبعد والأعم تناولاً، وانتهاءً بالأقرب والأشد تعلقاً بقضية البحث للتركيز على موضوع بحثنا، وتحديد الدراسات التي تماسّت مع مشكلته بشكل أدق، وأحسب أن هذا هو الهدف المنشود من هذا البحث.

ففي الإطار العام الذي يتناول -فيما يتناوله- حياة الشاعر وسيرته؛ كتب العديد من المؤلفين بأساليب مختلفة. فتناولت غرّيد الشيخ (٢٠٠٨) الشاعر، في كتاب "أيام مع الفيتوري"، ضمن سلسلة كتب بعنوان (أيام معهم). وهي مجموعة قصصية تمثيلية تحكي كل واحدة منها عن لقاء متخيل مع أحد الشعراء بأسلوب حديث، وفي هذا الجزء تحاور المؤلفة

الفيثوري وتستنتج شعره، وتعرف على حياته، وبعض قضاياها، وسمات شعره من خلال نثر مقتطفاتٍ من دواوينه، وذكر ما كتب عنها. والكتاب أشبه بقصةٍ سرديةٍ ذات طابعٍ تعليمي، موجهةٍ إلى الناشئة واليا فعين.

وكتب نجيب صالح (١٩٨٤) كتابًا بعنوان "محمد الفيثوري والمرآيا الدائرية"، تحدثني القسم الأول منه عن نشأة الشاعر ومراحل حياته، وشاعريته، وعرض فيه لأهم السمات الفنية التي ميزتها. ثم خصص بقية أقسام الكتاب لنشر ما لم ينشر من إنتاج الشاعر الشعري والنثري، إضافةً إلى إعادة نشر بعض المقالات التي نشرت حوله، والمقابلات الصحفية التي أجريت معه ونشرت في صحف متفرقة متناولةً آراء الشاعر المختلفة عن الحياة والسياسة والفن والشعر الحديث.

كما تناول أحمد محمدية (٢٠٠٨) حياة الفيثوري في كتابٍ بعنوان "محمد الفيثوري، ملامح من سيرة مجهولة"، تحدث فيه مؤلفه -في أسلوبٍ سرديٍّ- عن بعض مراحل حياة الشاعر، وقدم - بوصفه صديقًا له -صفحاتٍ مجهولةٍ منها، وعديدًا من التفاصيل الشخصية والاجتماعية والسياسية المتعلقة بحياة الشاعر. كما عرض لمسيرته العلمية الثقافية، وبداياته الشعرية، وحياة الاغتراب التي عاشها متنقلًا بين مختلف البلدان. كما قدم المؤلف في نهاية الكتاب نماذج من شعر الشاعر، وصورًا ضوئيةً له في مختلف مراحل حياته. والكتاب أشبه بكتب السيرة الغيرية الانتقائية التي تركز على بعض جوانب حياة الشخصية ولا تستوعبها كاملةً؛ أو هي شهادةٌ على مرحلةٍ عاشها المؤلف قريبًا من الفيثوري شاهدًا عليه وعلى تلك المرحلة.

وتناولت إيمان بقاعي (١٩٩٤) سيرة الشاعر كذلك في مؤلفٍ بعنوان "الفيثوري؛ الضائع الذي وجد نفسه" ضمن سلسلة (الأعلام من الأدباء والشعراء)، حيث قسمته قسمين؛ تحدثت في الأول منه عن شيءٍ من سيرة الشاعر وطفولته، وعن بعض مكونات ثقافته، والناحية الصوفية منها، وموهبته الشعرية، معلقةً في ذلك على مقتبساتٍ من شعره. أما القسم الثاني فخصّصته لعرض قصائدٍ مختارةٍ من شعر الشاعر، وقد غلب على أسلوبها السرد التاريخي الوصفي.

وقد تنوعت تناولات الدارسين لشعر الفيثوري؛ ما بين التذوقي العام، والنقدي الدقيق. وتنوع المحتوى كذلك؛ نظرًا لاختلاف السياقات التي دُرِس من خلالها. فنجد -مثلاً- دراساتٍ تناولت الشاعر ضمن منظورٍ نقديٍّ محدّد. في نتائج عددٍ من الشعراء بينهم الفيثوري، أو نجد بعضها الآخر قد اتخذ من شعر الفيثوري نموذجًا له، فيما درس بعضها الآخر تلك الظواهر والأغراض في شعره خاصةً. كما اختصت دراساتٌ أخرى بتناول آلياته الفنية. ونشير بدايةً إلى دراسةٍ تناولت شعره ضمن التناول التذوقي العام. حيث كتبت جلييلة رضا (١٩٨٧) كتابًا بعنوان "وقفٌ مع الشعر والشعراء، الجزء الأول"، تناولت فيه الفيثوري تناولًا ذوقيًا انتقائيًا ضمن من تناولهم الكتاب من الشعراء المعاصرين. وتصف المؤلفة عملها في الكتاب بأنه وقفٌ قصيرٌ مع بعض الشعراء المحدثين لم تقدم فيها سواالصفحة المشروقة لكل شاعرٍ بعيداً عن المآخذ التي يمكن أن تؤخذ عليه. ولذا؛ لا يمكننا اعتبار عملها نقدًا علميًا منهجيًا؛ إنما هو أقرب للعمل التذوقي الانطباعي.

ثم نشير إلى الدراسات النقدية التي تناولت الشاعر تحت مفاهيم نقديةٍ عامةٍ، أو اتخذته نموذجًا لها؛ كدراسة محيي الدين صبحي (١٩٩٩) الذي جمعدرساته عن مجموعةٍ من شعراء العصر الحديث ضمت الفيثوري؛ في كتابه "الشعر طقس حضارة؛ دراسة لنتاج: جوزف حرب، محمد الفيثوري، أحمد الجحاطي، معين بسيسو، عمر أبو ريشة"؛ عارضًا

لما هاج أولئك الشعراء من خلال طرح ثلاثة محاور نقدية رئيسية؛ هي: أدبية النص وخصائصه المميزة له عن سواه من الفنون والأنماط، وخصوصية النص في استدعاء المنهج الملائم له، ووسائل تحليل الصور الفنية ومعالجتها. وتناول المؤلف شعر الفيتوري جزئياً من خلال ديوانه (يأتي العاشقون إليك)؛ موطناً شعره في الإجابة عن محاور الكتاب، ومبرهنًا على شاعريته من خلال نظريات الأدب، ومفهومات الأدبية.

وكذلك دراسة محمد قوبعة (١٩٨٨)، بعنوان "النص الشعري بين الدلالة والإبداع الفني؛ قصيدة: (أحزان المدينة السوداء) لمحمد الفيتوري نموذجاً". حيث فرّق في مقدمتها النظرية بين الشعر والنثر، مشيراً إلى تطور الكتابة الشعرية من الشعر العمودي إلى الشعر الحر، وما يستلزمه ذلك من تغيير طرائق الممارسة النقدية؛ وملتزمًا هذا المعيار في تحليله لقصيدة الفيتوري موضوع الدراسة. ويشرح الباحث في محاور الدراسة الأربع التالية: بناء النص العام. والمستوى الصوتي. ثم المستوى النحوي التركيبي، ثم المستوى البلاغي. ثم ينتهي إلى المستوى الدلالي الذي تجتمع فيها مستويات النص مكونةً نظاماً مكتملاً مغلقاً. ويختم الباحث دراسته بالحكم على النص بأنه أحد النصوص المعاصرة الدائرة حول ثنائية (الموت والانبعاث) التي ترددت لدى الكثير من الشعراء العرب المعاصرين على اختلاف وسائلهم الفنية.

ثم اختلفت وجهات الدراسات النقدية بعد ذلك؛ تبعاً لاختلاف أهدافها وموجهاتها المنهجية؛ فركز بعضهم على الآليات الفنية، وتناول الآخر القضايا النقدية، وجمع ثالثٌ بينهما؛ ففي إطار الدراسة الفنية مثلاً؛ حظي الجانب الفني في شعر الفيتوري باهتمام الدارسين، وتنوعت الآليات والمحاور الفنية المدروسة حسب تناولهم للمكونات الأدبية والفنية في شعره. فقدّم يعقوب عبد الله يعقوب (٢٠٠٩)، دراسةً بعنوان "الشعر المسرحي في السودان، عبد الله الطيب والفيتوري نموذجاً". وهي رسالة دكتوراه في جامعة أم درمان، بالسودان، ركزت على استنتاج خصائص هذا الفن وآلياته في الشعر السوداني من خلال دراسة نماذج له لدى كلٍ من الفيتوري وعبد الله الطيب. كما اهتمت بشعر الفيتوري من الجانب الفني المسرحي، عبر تناول آلياته الدرامية والمسرحية وتحليلها فنياً؛ واستخلاص نتائج نقدية حول هذا الغرض الفني في الشعر السوداني عامةً.

فيما ركز سلطان الشعار (٢٠٠٧)، في رسالته العلمية الموسومة "التراث في شعر محمد الفيتوري"؛ بشكلٍ خاصٍ على الجانب التراثي من شعر محمد الفيتوري، من خلال دراسة الرموز التراثية المختلفة التي تناولها في شعره، وفن السرد، واللغة التراثية في شعره. وتوصل الدارس إلى أن الشاعر ينطلق دوماً في جانب (الرمز التراثي)؛ من واقعٍ مستعبدٍ سلبٍ يفرض قيوده وسطوته عليه. كما استطاع الشاعر توظيف ثقافاتٍ مختلفةٍ المشارب في تجربة أسطورة الشخصيات، وحضرت الرموز الشعبية والتاريخية في شعره، وتعالقت نصوصه الحاضرة مع النصوص التراثية. ويعترف الدارس بتعجّله في الوقوف عند بعض المراحل المهمة في حياة الشاعر نظراً لطبيعة بحثه، كما يرى الحاجة ملحةً لرصد حياة الشاعر ونشأته وثقافته في بحثٍ مستقلٍ لما لها من الأهمية العظمى في دراسة حياة الشاعر، مؤكداً على أحقيته في تبوأ مكانته بين صفوة الشعراء المحدثين.

وتناول عبد الرحمن كرم الدين (٢٠١٢) في دراسته: "السرد في شعر الفيتوري؛ قصيدة (مقتل السلطان تاج الدين) نموذجاً"؛ الآلية السردية في شعر الفيتوري من خلال التحليل النقدي لمكوناتها في هذا النص. فمهد لذلك بذكر علاقة الشعر بالسرد نظرياً، قديماً وحديثاً، ثم انتقل إلى تحليل القصيدة نقدياً عبر تناول أحداثها وشخصياتها، وأسلوب الخطاب

السردى وعناصره. وخلص إلى اقتدار الشاعر فنيًا على تقديم أفكاره ورؤاه عبر توظيف تقنيات الأسلوب السردى الشعري في نقل واقعة تاريخية معروفة إلى الحاضر المعيش. كما أشار إلى تمكن الشاعر من أدوات السرد الشعري وتقنياته. كما جاء النصّ محققًا بعضًا من أهدافه المألوفة في شعره عامة، كالثورة على الإنسان الأبيض الظالم المستعبد، واستنهاض أفريقيا، واستشراف المستقبل الواعد بالحرية والعدالة. مما يؤكد جدارة الشاعر في هذا الفن، وتوفّر قصائد عديدة في دواوينه يمكن أن تنهض بدراسة علمية مستقلة تتناول السردى الشعري في شعر الفيتوري عامةً.

وقدمت زينب منصوري (٢٠١١) دراسةً بعنوان "ديوان غاني أفريقيا لمحمد الفيتوري؛ دراسةً أسلوبيةً"، قامت فيه بدراسة أول دواوين الفيتوري، في ثلاثة فصولٍ مسبقةٍ بمهّد نظريٍّ عن الأسلوب والأسلوبية، ومعتمدةً هذا المنهج في دراسة ثلاثة مستوياتٍ لشعر الشاعر في الديوان؛ المستوى الصوتي، والمستوى النحوي التركيبي، والمستوى الدلالي. كما درست الرمز بنوعيه العام والخاص، ووجدت توظيف الشاعر لها ينم عن وعيٍ بمرجعيتها التاريخية، وقدرةً على ربطها بدلالاتٍ جديدةٍ كشف الإلحاح عليها عن المحاور النفسية القائمة في نفس الشاعر.

ولا نلمح تركيزًا مباشرًا في الدراسات السابقة على قضية (الاستعباد) في شعر الفيتوري؛ نظرًا لتركيزها على الآليات الفنية في شعر الشاعر. ونظرًا لدخول قضية البحث في حيز المعاني والقضايا الأدبية؛ ولذلك نلاحظ أن أكثر الدراسات التي تماشّت مع هذه المشكلة؛ هي الدراسات التي تناولت القضايا الأدبية، أو التي اهتمت بالأغراض والظواهر الشعرية المختلفة في شعر الفيتوري، سواءً كان ذلك مصحوبًا بتناول بعض الآليات الفنية في شعر الشاعر؛ أملاً. وسواءً أشرت الدراسة الشاعر مع غيره من الشعراء في دراسة القضية، أم اتخذته نموذجًا لها، أم خصته وحده بعنايتها. مشيرًا إلى خطوة هذه الدراسات بذات الدرجة من التنوع الذي رأيناه في الآليات؛ حيث مال بعض الباحثين إلى دراسة خلفية الشاعر العرقية وهويته الإثنية، وتناول الآخرون انتماءه الوطني، بينما ركز آخرون على تجاربه الحياتية، إلى آخر القضايا والظواهر التي تمت دراستها.

كتبت نسيبة الحاج (٢٠١٢) دراسةً بعنوان "تجربة الفيتوري بالشعرية دراسة تحليلية". وهي رسالةٌ مكتملة للحصول على الماجستير في (كلية التربية بجامعة الجزيرة، بالسودان)، وتهدف منها إلى الوقوف على تجربة الفيتوري الشعرية باختيار شعره حقلاً لها. واحتوت على نبذةٍ عن مولد الشاعر، ونشأته، والوظائف التي شغلها. كما تعرضت الدراسة للقضايا التي شغلت ذهن الشاعر، وانتقاله بين مختلف المدن؛ مما أكسب شعره تلاحقاً وحيوية، وأضفى عليه مظاهر الشوق والحنين جرّاء معاناة الفراق ومقاساة الغربة. كما اشتمل البحث على خاتمةٍ وتوصياتٍ بدراسة مثل هذه الموضوعات التي تهدف لإحياء الشعر السوداني ورواده، ومعالجة قضايا المجتمع السوداني ومشاكله.

كما قدم معايدى جمعة (٢٠١٢) كتابه "شعر محمد الفيتوري؛ الرؤية والتشكيل"؛ مقسمًا إياه لمحورين، الأول هو: الموضوع، وتحدث فيه عن إسهام الشاعر في ثلاث قضايا؛ هي: (التصوف) حيث مزجه بقضايا عصره. ثم (الالتزام والثورية) حيث استطاع المحافظة على جمال صياغته الشعرية رغم التزامه بقضاياها. ثم (المرأة) التي تعددت نماذجها دون أن تتحول عنده إلى منبعٍ للطاقة الكونية. أما في المحور الثاني وهو الصياغة الجمالية في شعره: فقد تناولها المؤلف في خمسة فصول درس فيها شعر الفيتوري من داخله، دون الاعتماد على تفصيلاتٍ خارجيةٍ عن حياة الشاعر أو مجتمعه أو فترته

التاريخية. فبدأ بدراسة (اللغة) ثم (الصورة) ثم (توظيف التراث) ثم (البناء الدرامي) وأخيراً (الموسيقى). والكتاب أشبه بدراساتٍ منفصلةٍ يعترف المؤلف في خاتمته بصلاحيّة كلٍّ منها للاستقلال ببحثٍ علمي له منهجه ونتائجه، كما ينبغي إحاطته بكل ما ينبغي أن يقال عن شعر الفيتوري.

ولأن الصوفية هي مرحلة التصالح مع الذات والشفاء من عبوديتها وعيوبها المتمثلة في كراهية الآخر؛ تأتفاعليتها في تخلص الشاعر من عقدة العبودية. وتشهد لذلك ثلّة من الدراسات، كدراسة إبراهيم منصور (١٩٩٦) في كتابه "الشعر والتصوف؛ الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر (١٩٤٥-١٩٩٥)"، الذي قدّم له بفصلين عن الفلسفة الصوفية، وبعدها في المذاهب الشعرية والفلسفية المعاصرة، ثم أعقبه بتسعة فصولٍ عن الشعراء المعاصرين الذين تأثروا بالتصوف تأثراً واضحاً فيما بعد الحرب العالمية الثانية، متناولاً الفيتوري في فصلٍ حكى فيه عن نشأته وبداياته الشعرية، متوقفاً أمام رؤيته الرومانتيكية. ثم مضى يحلل مجموعته الشعرية (معزوفةٌ لدرويش متحول) التي تأثر فيها بالرؤية الصوفية مستخدماً تقنية القناع. وأشار إلى احتمال تأثره في بعض المواضع بالشاعر صلاح عبد الصبور، ومشابهة ابتهالاته لصنيع أبي حيان التوحيدي في كتاب (الإشارات الإلهية)؛ وذلك في روحها الصافية، ونفسها الصوفي المتسامي. خالصاً إلى ظهور موقف الصوفي الثوري عند الفيتوري مكتملاً وداعياً للثورة والمحبة اللتان تمثلان حرية الإنسان وكرامته، وطريقه لاسترداد ما فقده من مجدٍ وسؤدد.

وفي ذات الموضوع؛ كتب محمد بنعماره (٢٠٠١) كتاباً بعنوان: "الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر". وهو — كما يُظهر عنوانه — يدرس تأثير التجربة الصوفية في الشعر العربي المعاصر. وقد تحدّث المؤلف في الباب الأول منه عن علاقة كلٍّ من الفن والشعر بالتصوف. ثم تناوله في الباب الثاني للتجارب الصوفية عند بعض الشعراء العرب، مفسراً التجربة الشعرية عند الفيتوري، ومحللاً قصيدته (ياقوت العرش) من خلال محور اعتناق الحكمة الصوفية.

كما تتبع عادل نعمان (٢٠٠٦) في رسالته العلمية: "النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر"؛ الحركة الصوفية في الشعر العربي الحديث من خلال تلمس أثر التجربة الصوفية في أدب عددٍ من الشعراء المعاصرين. وكان الفيتوري نموذجاً خصص الباحث له الفصل الأخير من الدراسة الذي أفردته لدراسة تجربة الفيتوري المتفردة. وخلص إلى أنه لا يتكئ كثيراً على توظيف الشخصية الصوفية التاريخية؛ بل يتخذ من الصوفية قناعاً يبرز من خلاله مواقفه من القضايا التي يريد طرحها. فكان خير معبرٍ عن الصوفية الثورية التي حمل فيها همّ الأمة التاريخي والحضاري كما حمل همّ الذات المعذبة في هذا العالم والمكبلة بقيم المادة وزيف التملك وسيطرته.

وتشير دراسة حامد طاهر (١٩٩٩) بعنوان "محمد الفيتوري" ضمن سلسلة (شاعر ومختارات)؛ إشارةً مهمةً وإن كانت عابرةً لمحورية مبدأ (إدانة الاستعباد البشري) في شعر الفيتوري. حيث تعرّضت لعوامل الشاعرية عند الفيتوري، المرتكزة على الموهبة، والتكنيك الفني، والرسالة الشعرية؛ عبر التناول الفني لهذه المحاور في مقتطفاتٍ من قصائد الفيتوري. متوصلةً إلى أن موهبة الفيتوري ظهرت لديه في عمرٍ مبكرٍ متصفّةً بقدرٍ عالٍ من النضج الفني، وأن إدانة الاستعباد البشري هو أهم المبادئ التي كرس الفيتوري شعره لها. كما أكدت الدراسة على موهبة الشاعر واحتياجها للمزيد من الدراسات الجادة للوقوف على ما أحدثه الشاعر من تطويرٍ في القصيدة العمودية.

كما تتناول الدراسات التالية أبعاد القضية الأفريقية في شعر الفيتوري، والحرية والثورة. ومن هذه الدراسات دراسة عبد الفتاح الشطي (٢٠٠١) في كتابه "شعر محمد الفيتوري؛ المحتوى والفن"؛ الذي قسمه قسمين، تحدث في الأول منهما عن القضايا التي يدور حولها شعر الفيتوري؛ كأفريقيا، والحرية، والغربة والوطن، والصوفية، والفلسفة، بينما تحدث في القسم الثاني عن شعرية المكونات الفنية في دواوين الشاعر منذ الخمسينات وحتى أواخر التسعينات، مازجاً حديثه في القسمين بمقتبسات نقدية وتحليلٍ مقتضبٍ لمختاراتٍ شعريةٍ من دواوين الشاعر.

ونجد كذلك مقالة عبد الرحمن البجاوي (١٩٦٤) بعنوان "أفريقيا في الشعر العربي"، التي يشير فيها إلى ظاهرة التفاف كثيرٍ من شعراء الأقطار العربية حول أفريقيا. محاولاً رسم صورةٍ لهذه القارة من خلال تناول بعض قصائد ديوان (أغاني أفريقيا) للفيتوري، وديوان (باقة نور) لعبده بدوي. وقد شهد الكاتب بطاقة الفيتوري الشعرية الأفريقية في رسم صورةٍ بارزة المعالم لهذه القارة، خالغاً عليها مأساته وواقعه المرير. كما عرض الصور الشعرية المجسدة لذلك في مقاطع من قصائد الديوان. مستنتجاً صدق الشاعر، وقوة إحساسه بمأساته كإنسانٍ يعيش في أفريقيا، وارتباطه الشديد بالكيان الأفريقي، ومبشراً بيقظة أفريقيا وانطلاقتها الثورية الكبرى.

وفيما نمضي في استعراض المزيد من الدراسات يزداد التركيز على دلالات (الاستعباد) عند الفيتوري عبر كشف جذور المشكلة، واستعراض أهم مكوناتها لديه؛ وهي معاناته من قضية (العنصرية) النابعة من شعوره الطاحن بهويته الزنجية، التي عمق (الاستعمار) أثرها في نفسه، وفي العالم من حوله. على اتفاقٍ بين الباحثين حول محوريتها في شخصيته وشعره، واختلافٍ بينهم في حقيقتها ومكوناتها، ومقدار تأثيرها في شعره.

وتشير إلى ذلك أيضاً دراسة منيف موسى (١٩٨٥)، في كتابه "محمد الفيتوري؛ شاعر الحس والوطنية والحب"؛ الذي قسمه بابين. تناول في الأول منهما الملامح السياسية والأدبية لعصر الفيتوري، كما عرض لحياته، ومراحل تكون موهبته الشعرية وتطورها، وتأثره بالتيارات الفنية المختلفة. وفي الباب الثاني قام بدراسة المحاور الثلاثة الظاهرة في عنوان الكتاب من خلال تحليلٍ لمختاراتٍ من دواوين الشاعر، مقتصرًا في دراسته على دواوين الشاعر المنشورة حتى عام (١٩٧٦). ويرى المؤلف أن قضية (الزنجية) أحد أهم الأمور التي عالجها الشاعر، وأبعدها أثراً في شعره، وأن الاستعمار ساهم في تعميق هذه النزعة لدى الشعراء السودانيين وصولاً إلى الفيتوري؛ لكنها أشد ثوريةً ودمويةً لديه، وذات طابعٍ ساخرٍ هازئٍ تفضح واقعه الأسود. وقد توصل المؤلف إلى أصالة موهبة الشاعر التي بدأت زنجية الطابع، ثم تلونت فيما بعد بالسلمات العربية الأصلية، ثم بالإشراق الإنسانية العالمية، وأن الحب هو أحد متركزات شعره، وأن عدم ثبات المجتمع العربي تلك الفترة؛ كان سبب تقلب الشاعر بين التيارات الفنية المختلفة إلى أن استقر على طريق الواقعية الاشتراكية. معترفاً أنه أحد رواد حركة الشعر العربي المعاصر الذين لم يوفوا حقهم من الدرس.

كما يظهر أثر دلالة (الاستعمار) في دراسة الباحثة ليلا آبادي (٢٠١٣) من خلال الإشارة إلى وجهٍ آخر من وجوه شخصية الشاعر المقاومة للظلم والاستعباد؛ لكن هذه المرة يكون الوجه عربياً. وذلك في تناولها لقضية (القومية) في شعره، عبر دراستها: "القومية في أشعار محمد الفيتوري"، حيث بدأتها بسرد نبذةٍ عن حياة الشاعر وشعره مصنفةً إياه ضمن مقدمة شعراء المدرسة الواقعية من حيث القدرة والصناعة. كما تحدثت عن روافد شعره، وطوابعه، والتزام الشاعر بقضاياها.

وتخلص الكاتبة -من خلال تحليل مختارات من شعره - إلى أن قومية الفيتوري نابعة من إحساسه العربي الخالص الذي هو أسبق من أفريقيته؛ فلا عجب أن نجد في شعره التيار العربي والقومي؛ حيث اكتشف بنظرته العميقة للعالم العربي أن الطغيان المسلط على رقاب العرب من الداخل والخارج أشد وقعا وأكثر إبلاغا من الظلم المحيق بأفريقيا والأفريقيين. فكان يصور لنا بشعره الواقعي أحاسيس الرجل الأسود الذي يدافع عن الحرية أينما كانت، مستلهما التراث العربي في شعره. فلم يتوقف دوره وتأثيره الشعري عند وطنه؛ بل كانت تشغله كل حوادث العالم العربي. واتسمت قوميته بالروح الحماسية، والأسلوب المتفرد الذي يؤمن أن الشعر لا ينبغي أن يهدف إلى تصوير الأشياء ونقل الطبيعة؛ بل ينبغي أن يكون أداة فضح وتحريض وثورة وتحذير؛ مما جعله من أهم شعراء الأمة العربية، بل جعله مواطنا عالميا.

وتكشف الدراسة التالية عن المآزق القيمة التي تعرض لها الفيتوري في مواقفه إبان دخوله معترك السياسة وساهمت في تشكيل وعيه بالقضية، وذلك من خلال تناول شعره السياسي في دراسة عوض محمد (٢٠١٢) بعنوان "الشعر السياسي في العالم العربي؛ الفيتوري أنموذجا". التي درس فيها ظاهرة (الشعر السياسي) في العالم العربي، من خلال أشعار الفيتوري. مقسما إياها إلى ثلاثة فصول، تناول الأول منها ملامح من الحياة السياسية والأدبية في العالم العربي الحديث، وتناول الفصل الثاني حياة الفيتوري، ومكونات شخصيته، وأثرها في شعره. أما الفصل الأخير فكان عن دوافع التفكير السياسي لدى الفيتوري، وموضوعاته، وتطوره، متتبعا المرحلة الإفريقية، ثم العربية في شعره السياسي. وانتهى البحث إلأن التحولات السياسية التي عاشها العالم العربي والأفريقي؛ أظهرت شعراء على المسرح السياسي، وارتبطت بكثير منهم، كالفيتوري الذي عبرت أشعاره عن روح الرفض في تلك المرحلة، كما اتسمت بالنزعة الإنسانية وظهور الدعوات القومية والأمية عنده. كما شكلت النشأة الصوفية، والنزعة الزنكية، وأسفاره؛ تجربتها الشعرية؛ منطلقا في تجديده من الواقعية في تناول مضمون الحياة التي شكلتها ظروف ما بعد الحرب العلمية الثانية. وقد تميز الفيتوري بالجمع بين الشعر وتولي الوظائف السياسية. ولأنه كان ينطلق دوما من دوافع إنسانية؛ كان يقع أحيانا في تباين المواقف، ما بين مؤيد لحظة ومعارض لحظة أخرى. وقد عبر شعره عن خصوصية الشأن السوداني الذي انطلق منه إلى القضية الإفريقية الأصلية التي بقيت في تجربته الشعرية رغم تطورها، كما تناول قضايا الواقع السياسي في كل البلاد العربية، وظهر البعد الإسلامي في تغنيه بالشعوب الإسلامية في كل أنحاء العالم، وكانت الحرية هي القاسم المشترك بين كل المراحل. وهو يعد واحدا من رموز الشعر السياسي، وأبرز من تناولوا القضية الإفريقية في الشعر العربي الحديث.

وتحلل الدراسات التالية دلالات (الميز العنصري)، و(الاسترقاق) عند الفيتوري لتعطيها أبعادا حضارية أعمق. فدراسة مناف منصور (١٩٧٥)، بعنوان "تجربة المدينة عند الفيتوري"؛ قامت بتحليل صراع الفيتوري الوجداني عند مواجهة واقعه الحضاري المعاصر، من خلال دراسة نصوص من دواوينه. وانطلاقا من محددتين لهذه المواجهة؛ الأول: أنه لا توجد حقيقة أو قيم إنسانية خارج أفريقيا. والثاني: أنه لا يمكن تلمس هذي القيم ومعاناة هذه الحقيقة إلا بالشعر. وقام الدارس بتحليل صورتين؛ الأولى: (صورة العصر) عند الشاعر فوجدها شكلا للواقع المأساوي المستمر في القرن العشرين المرفوض لديه لأنه من صنع الإنسان الأبيض الذي استغل الإنسان الأسود. وهكذا تستحيل أفريقيا عند الشاعر إلى (أرض الخلاص). أما الصورة الثانية: فهي (صورة المدينة) التي تبدو وجهًا من وجوه الحديث عن قضيته الكبرى مع العالم

المعاصر. ولذا لا نجد اختلافاً كبيراً - في الفساد وانعدام القيم الأخلاقية - بين المدينة العربية والغربية الحديثة. ويجد الباحث أن الصراع بين الأسود والأبيض هو وجه آخر لمعاناة الشاعر مع الحضارة المعاصرة؛ إلا أن نغمته لا تشمل كل البشر البيض؛ بل المستعبدين الظالمين منهم الذين تسببوا في هذه المآسي التي لا شفاء لها إلا الثورة التي ستغير هذا الواقع المرير، وتسمح للإنسان الأسود أن يكتب تاريخه من جديد. ومن هنا يؤكد الباحث أن تجربة الفيتوري هي تجربة فريدة ومتميزة في الحركة الشعرية العربية المعاصرة على الإطلاق.

وكذلك؛ قدم وفيق خنسة (١٩٨٤)، دراسة "الفيتوري في مدار الغربة"، وتحدث فيها عن قضية (الغربة) عند الفيتوري من خلال تحديد موقع أفريقيا لديه، وكيفية تناوله لمشكلات اللون، والانتماء، والأوروبي الأبيض، وغيرها، في كتاباته. ومن خلال دراسته لمحوري غربة اللون (الزوجة)، والمكان (غربة المثقف في المجتمع)، توصل الباحث إلى أن الزوجة هي الجذر العميق لغربته وعذابه، بالإضافة لنشأته في مجتمع غير منفتح اجتماعياً. وقد زادها الشاعر عمقاً من خلال إحباطه وعزلته وشعوره بالدونية والنقص أمام الرجل الأبيض؛ مما برر طغيان مفردات الكآبة على قصائده، وافتقار شعره للحدثاء والغنى الداخلي. ويرى الدارس كذلك أن الشاعر أخطأ في فهمه للواقع ولمسألة التمييز العنصري حين طرح مشكلة اللون طرْحاً فردياً، وعرقياً؛ منطلقاً من أيديولوجيات بروجوازية تعتمد المعايير الرأسمالية في الحياة والجمال. وقد تطور لديه هذا الفهم قليلاً؛ حيث حدّد انتماءه للأمة العربية والسودان، وبدأ يرى في الاستعمار الأوروبي تشكيلات اجتماعية. لكنه وقع في الفهم الشرقي التقليدي للعدو، والمرأة، والشاعر الحكيم. وبالنسبة لتجربة الشاعر الصوفية في ديوانه (معزوفة لدرويش متحوّل)؛ رأى الدارس أنها لم ترتفع لمستوى ما تركه رواد الصوفية الأوائل. كما رأى أن أسلوبية الشاعر توزعت على: المدرج الرومانسي الحزين، والديني المتواشج معه، والتراثي الاتباعي، والحدثاء الشكلية؛ مما جعل من شعره جسراً حقيقياً بين القديم والجديد.

وتعمّق محمد السرغيني (١٩٩٦) في دراسة قضية (الزنجية) في تجربة الشاعر في بحثه المعنون "الزوجة في شعر محمد الفيتوري". حيث استعرض في البداية؛ سيرته، ورحلته الشعرية، متحسّساً آثار هذه القضية في حياته وشعره، من خلال تقسيم مسيرته الشعرية إلى مراحل ثلاث؛ هي الزنجية، والصوفية، والنضالية العروبية. وقد ركز الكاتب على دراسة المرحلة الأولى التي مثلت ظاهرة غريبة في الأدب العربي المعاصر لجدة موضوعها. ورأى أن الشاعر قد عالج موضوع الأفريقية ساعياً إلى كشف الحقيقة السوداء ليلتحم ذلك بثقافته الخاصة؛ من خلال أربعة أعمالٍ ضمّتها هذه المرحلة؛ هي: (أغاني أفريقيا، عاشق من أفريقيا، اذكريني يا أفريقيا، وأحزان أفريقيا). وتمثل هذه الأعمال رحلةً غنائيةً تبدأ من أفريقيا وتنتهي بها، آخذةً من المشهد الأفريقي المميزات التالية: الذاتية، والغنائية، واستمداد الصور من الاتجاه الرومانسي العربي، والرؤية ذات المسحة الإسلامية. وقد شكّل ذلك كله ما سماه الكاتب (الزوجة الفيتورية) التي كانت لها مطالب خاصة اتسمت برؤية رومانسية لا أيديولوجية. ومضى الكاتب في استنباط مظاهر رؤيته تلك وتحليل أدواتها في أعمال الشاعر الإبداعية في هذه المرحلة، مؤكداً في نهاية دراسته على أن زوجة الشاعر تمثل انتماءً إثنياً لا أيديولوجياً.

وزاد بنعيسى بوحالة (٢٠٠٤) هذه القضية تفصيلاً وتوضيحاً في كتابه "النزعة الزنجية في الشعر السوداني المعاصر؛ محمد الفيتوري نموذجاً". فدرس فيه محدّدات الهوية الزنجية وكيفية استعادتها، من خلال تناول الفيتوري نموذجاً للدراسة التي

يصلح تعميم نتائجها على جماع الشعر السوداني المعاصر الموسوم بنزعتة الزنجية، والذي يظل الشعر العربي الوحيد الذي يجمع بين ولائه للعروبة وولائه للزنجية، أي بين رؤيتين للعالم. مبرراً اختياره له بوفرة الكم الشعري لديه في هذا المضمار، وتخصيصه أربعة أعمال في مفتتح تجربته الشعرية للتعبير عن نزعتة الزنجية. وهذه الأعمال هي: (أغاني أفريقيا، عاشق من أفريقيا، اذكرني يا أفريقيا، وأحزان أفريقيا)، وهي الأعمال التي قام الكاتب بتحليلها في هذه الدراسة. مقسماً إياها إلى مبحثين؛ الأول هو المستويات البنائية الشكلية في المتن؛ ودرس فيه المستوى اللفظي، والتركيب، والإيقاعي، ومستويات بنائية أخرى. أما المبحث الثاني؛ فكان المستوى الدلالي في المتن، ودرس فيه محورين؛ الأول (بنية تدمير الهوية) من خلال تحليل دلالة الاسترقاق، والاستعمار، والميز العنصري. والثاني (بنية استعادة الهوية) من خلال تحليل دلالة الحرية والثورة، والإنسان. وقد انصبّت الدراسة على تحليل مظاهر النزعة الزنجية في المستويات الشكلية والدلالية لنصوص الأعمال المتناولة، موظفةً المنهج البنوي التكويني في إنجاز ذلك. ومؤكدةً أن الفيتوري يبقى أحد أبرز العلامات التي بواسطتها التفت النقاد والقراء إلى التجربة الشعرية السودانية بعامّة.

وبهذه الدراسة؛ يصل الباحث إلى أقرب نقطة من قضية البحث وهي (قضية الاستعباد)؛ من خلال تناول الدارسين لأحد أهم مكونات هذه القضية وهي (الزنجية) التي تعد أحد أهم المنطلقات في دراسة قضية (الاستعباد في شعر الفيتوري) وليست هدفاً بذاته.

الخلاصة

قام هذا البحث بعرض جهود الدارسين لقضية (الاستعباد) التي تعتبر القضية المحورية في حياة الشاعر محمد الفيتوري، بوصفه أسبق الشعراء العرب إلى تناول قضيتي (أفريقيا، والزنجية) نوعاً وكمّاً. وقد كشف عرضنا السابق للدراسات التي دارت حول الشاعر؛ عدم تناسبها الزمني - كمّاً ونوعاً - مع مكانة الشاعر الفنية والأدبية، ومع أهمية القضايا التي تناولها في شعره بتمكنٍ واقتدارٍ فنيٍّ؛ مما يُحتاج معه إلى تفسيرٍ علميٍّ يحمل عبئه بحثيٍّ مستقلٍّ. كما أظهر استقراء تلك الدراسات؛ تنوعها ما بين الدراسات العامة، والتذوقية، والنقدية التي غلبت على مجمل الدراسات بشكلٍ عامٍ، كما أظهر تباينها في مقدار تناولها لشعر الشاعر وذلك بحسب نوع كل دراسة، وهدفها؛ فضلًا كثيرًا من الدارسين تناول عدة دواوين للشاعر، وتناول بعضهم ديواناً واحداً له، فيما اقتصر آخرون على نصٍّ واحدٍ. وقد تنوعت أساليب تلك الدراسات فيتناولها، واعتمادها لمعايير مختلفة في تتبع حياته وتحليل شعره، وخرجت عنهما؛ بالعديد من النتائج المهمة.

ورغم ذلك؛ يرى الباحث أن قضية (الاستعباد في شعر الفيتوري) لم تحظَ -وفي حدود علمه- بدراسةٍ أدبيةٍ مستقلةٍ، تتناولها باعتبارها قضيةً محوريةً لدى الشاعر؛ مع الاعتراف أن عدداً من الدراسات السابقة قد تقاطعت معها في عددٍ من المحاور والمنطلقات؛ كالهوية، والاعتراق، والزنوجة، والاستعمار؛ وتناولتها كظواهر أدبية أو نفسية أو اجتماعية صبغت بعض المراحل في شعر الشاعر؛ أو تناولتها في إطار البرهنة على وجودها في الشعر العربي من خلال تمذجة الشاعر، أو دراسته ضمن آخرين؛ بينما يرى الباحث أنها مكوناتٌ لقضيةٍ أكبر، وجذورٌ لأزمةٍ أعمق لدى الشاعر، وهي قضية

(الاستبعاد) التي امتدت في شعره كله، وظهرت بقناع مختلف في كل مرحلة من مراحل الشعرية. ولذا؛ يوصي الباحث بدراستها كروية مستقلة صدر عنها الشاعر، وصبغت مراحل الشعرية كلها؛ لكشف هذا الجانب المهم من تجربته الشعرية الخصبية. وهو ما يُبقي الحاجة قائمة لتناول هذا الموضوع بدراسة علمية وافية شافية، وفق منهج بحثي حديث. []

المراجع

- Abadi, Laila Qosimi Haji. 2013. *Al-Qoumiyah fi Asy'ari Muhammad al-Faithuri. Fashliyah Dirosat al-Adab al-Ma'ashir*. Sanah 4. 'Adad 15. Shafhah 97-111. <http://cls.iranjournals.ir>.1 Mei 2013.
- Abdu al-Rahman. 1964. *Afriqiyah fi al-Syi'r al-Arabi*. Majallah al-Risalah. Adad 1085. Sanah 22. Al-Qohirah : al-Tsaqafah wa al-Irsyat al-Qaumi.
- Baqai, Iman Yusuf. 1994. *Al-Faituri; al-Dhai' ally wajada nafsahu*. Thibaah 1. Bairut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
- Binikmarah, Muhammad. 2001. *Al-Atsar al-Shafi fi Al-Syi'ri al-Ma'ashir*. Dar al-Baidha': Syikah al-Nasyr wa al-Tauzi'.
- Buhamalah, Binais. 2004. *Al-Nuz'ah al-Zanjiah fi al-Syi'ri al-Sudani al-Ma'ashir*. Muhammad al-Faituri Namdzajan. Al-Ribath: Ittihat Kitab al-Magrib
- Elminshaw, Elwaleed Abdulraouf. 2015. "Al-Adab al-Islamiy baina al-Qiyam al-Khuluqiyyah wa al-Jawaanib al-Fanniyyah" *Arabiyyat : Jurnal Pendidikan Bahasa Arab dan Kebahasaaraban*, Vol. 2, No. 2.
- Hadarah, Muhammad, 1972. *Al-Sya'ir al-Hadis fi Sudan*. Bairut; Dar al-Tsaqafah al-Arabiyyah.
- Hahir, Hamid. 1999. *Muhammad al-Faitury, (silsilah Sya'ir wa Mukhtarat)*. Al-Qahirah: Maktab al-Adab.
- Al-Haj, Nasibah Muhammad al-Imam. 2012. *Tajribah al-faitur bi al-Syiri Dirasah Tahliliyyah*. Risalah Mukmilah li al-Husul ala al-Majister. Kuliyah al-Tarbiyah. Jamiah al-Jazirah. Al-Sudan.
- Jum'ah, 'Ayidi Ali. 2012. *Syi'ru Muhammad al-Faituri: al-Ru'yah wa al-Tasykil*. Al-Qahirah: al-Hai'ah al-Mishriyah al-Ammah lil al-Katib.
- Karamu al-Din Abdul al-Rahman Ahmad Ismail. 2012. *al-Sar fi Syi'ri al-faituri, Qasidah "Muqatal li Sulthanina Jalid Binamudzajan"*. Majallah al-Ulum al-Arabiyyah.
- Khunsah, Wafiq. 1984. *Al-Faituri fi Madar al-Ghurbah*. Majallah al-Mauqif al-Adabi. Adad 153-154. Damsyiq. Ittihad al-Kitab al-Arab.
- Manshur, Manaf. 1975. *Tajribah al-Madinah 'id al-Faituri*. Majallah Qadaya Arabiyah. Bairut: al-Muassasah al-Arabiyyah li dirasat wa al-Nasyr.
- Manshur, Muhammad Ibrahim. 1997. *Al-Syi'r wa al-Tsawwuf; al-Astar al-Shufi fi al-Syi'r al-Arabi al-Mu'ashir 1945-1995*. Dar al-Amin
- Manshuri, Zainab. 2011. *Diwanan Gahniyan li Muhamamd al-Faithuri; Dirasah Uslubiyah*. Risalah Majistir. Qism al-Lughah al-Arabiyyah wa Adabiha. Jamiah al-Haj li khadr. aljazair
- Muhammad, Audh Hasan 'Ali. 2012. *Al-Syi'r al-Siyasi fi al-Alim al-Arabi, al-Faituri Anmudzajan. Risalah Duktharah*. Qism Adab wa al-Naqd. Jamia'ah al-Sudan li Ulum wa Thiknulujiah. Al-Sudan.

- Muhammadiyah, Ahmad Sa'id. 2008. *Muhamamd al-Faituri; Malamih min Sairah Majhul*. Bairut: Dar al-Audah.
- Musa, Munif. 1985. *Muhammad al-Faituri: Sya'ir al-his wa wathaniyah wa hubb*. Bairut: Dar al-Fikr al-Lubnani.
- Nu'man, 'Adil Abdurraqib Muhammad. 2006. *Al-Nuz'ah al-Shufiyyah fi Syi'r al-Arabi al_ma'ashir*. Risalah Majistir. Qism al-Dirasah al-Adabiyah wa Lughawiyah. Ma'had al-Buhust wa al-Dirsah al-Arabiyah. Jamia'h al-Dual al-Arabiyah. Al-Qahirah.
- Qubi'ah, Muhammad. 1990. *Al-Nash al-Adabi Bain al-Dalalah wa ibda' al-Fann; Qasidah "Ahsan al-Madinah al-Saudah" Li Muhammad al-faituri Namudzan*. Wa Qai'ul al-Multaqa al-Qaumi al-Munaddhim bi Shafaqis. Tunis. Al-Ma'had al-Qaumi li 'lum al-Tarbiyah.
- Ridha, Jalilah. 1989. *Waqfah ma'a al-Syi'ri wa al_Syu'ara'*. Jild 2. Thiba'ah 1. Al-Qahirah: al-Hai'ah al-Misriyah al-Ammah lil al-Katib.
- Al-Saghini, Muhammad. 1997. *Al-Zanujah fi Syi'r Muhammad al-Faituri*. Turjumah: Hasan alghurfi. Majallah al-Mauqif al-Adabi. Ada 108. Damsyiq: Ittihad al-Kitab al-'Arab.
- Shalih, Najib. 1984. *Muhamamd al-Faitury wa al-Maraya al-Dairiyyah*. Bairut: al-Dar al-Arabiyah li al-Mausu'at.
- Shubhi, Muhyiidn. 1999. *Al-Syi'r Thas Hadarah; Dirasah li nataj; Jauzaf Harb, Muhamamd al-Fautury, Ahmad al-Majathi*. Damsyiq; Wizarah al-Thaqafah al-Suriyah.
- Al-Sulma, Abdullah, al-Ghauts, Mukhtar. 2014. *Manhaj al-Bahs fi Lughah wa al-Adab*. Thibah 2. Khawarazimi al-Ilmiyah.
- Al-Syaekh. Ghirbt. 2008. *Ayyam Ma'a al-Faitury. Silsilah Ayyam Ma'ahum*. Bairut: al-Nukhbah li Ta'lif wa Turjamah wa al-Nasyr.
- Al-Syathbi, Abdul al-Fattah Abd al-Muhsin. 2001. *Syi'ru Muhammad al-Faituri: al-Muhtawa wa Fann*. Al-Qahirah: Dar Quba' lil Thiba'ah wa al-Zaysr wa al-Tauzi'
- Al-Syiar, Sulthah Isa. 2007. *Al-Turas fi Syi'r Muhammad al-Faituri*, bahst Takmili linai Darajah al-Majistir. Qism al-Lughah al-Aabiyah wa Adabiha. Jami'ah Mu'tah. Al-Urdun.
- Al-Timranini, Abdussalam. 1979. *Al-Riqq Madihi wa Hadiruhu*. Al-Kuith: Alim al-Ma'rifah
- Thaif, Abdul Malik. 1998. *Muhammad al-Faituri; Dirasah lil Bina al-Syi'ri*. Risalah Majistir. Qism al-Lughah al-Arabiyah wa adabiha. Kuliyah Adabul Lughat. Jamiah Manthuri. Qasthatiyah.
- Thannus, Jan Na'um. 2009. *Shurah al-Hubb fi al-Syi'ri al-Arabi al-Hadist; Dirasah Tahliliyah Naqdiyyah; Taufiq Shayigh*. Muhammad al-Faituri, Adonis. Muhammad al-Maghuth, Anas al-Hajj. Bairut: Dar al-Munhil.
- Al-Tyayib. Abu Shibah Ali. 2004. *Syi'r Muhammad al-Faituri Dirasah Fanniyah*. Risalah Dukthurah. Jamiah Umdarman. Al-Sudan.
- Ya'qub, Ya'qub Abdullah al-Syaiek, 2009. *Al-Syi'r al Masrahi fi Sudan. Abd Ilah li Faitury Anmudzajan*. Risalah Dukthorah. Jamiah Umdarman. Al-Sudan.
- Al-Zahiri, Qasim. 1972. *Nadharat fi al-Fikr al-Zanji*. Majallah al-Tsaqafah al-Magribiyah. Adad 6.